أبو عوف

هنا هو السيد ولا سيد سواه . . إنه صاحب الأمر في الأشياء والناس – وهو لا يموت أبداً . . لأن هناك ألوفاً منه . . إذا مات واحد ظهر مائة .

بعد جهد شاق وصلت السيدة نادية أرملة المرحوم المهندس عبد المجيد حسن الخطيب إلى الدور الثامن من مجمّع المصالح الحكومية .

كانت قد وصلت إلى المجمّع الساعة الثامنة والنصف صباحاً . قالوا لها : إن من يريد أن يقضى مصلحة فى هذا المجمع ينبغى أن يبكّر بالحضور ، وخاصة إذا كان يريد أن يقابل « أبو عوف » بك المدير العام للتشهيلات – أى الإنجازات – فى ذلك المجمع الضخم .

عند دخولها ردهة المجمع – حيث السلالم والمصاعد – وجدت دنيا تموج بمن فيها موجاً ، خلية نحل لا تستقر فيها نحلة فى مكانها – ناس لا يعلم عددهم إلا خالقهم يتدافعون ويتزاحمون وبيد كل منهم أوراق لا يدرى ماذا يصنع بها ؟ وامرأة بدينة جالسة أرضاً وأمامها أوراق الدمغة وعلب الكبريت ، نساء تسحب كل منهن طفلاً فى كل يد من يديها وطفلاً على كتفها ، وفى ذيلها يمسك طفل رابع يبكى وهو يتعثر فى سيره متشبثاً بالخيط الرفيع الذى يربطه بالأمان . واحدة منهن تسأل كل من يمر بها فى بلاهة : أين سجلات المحكمة ؟ أين سجلات المحكمة ؟ لا أحد يسمع ولا أحد يجيب ! كل امرئ هنا ببلواه مشغول ! أخيرا يقفز إليها إنسان قمىء زرى الهيئة يلبس جلباباً وسترة وطربوشاً مهلهلة كلها :

– مالك يا ست ؟ ماذا تريدين ؟

– سجلات المحكمة يا ابنى .

– أى سجلات ؟

– خذ اقرأ

وناولته الأوراق التى بيدها ، فنظر فيها وهز رأسه هزَّ العالِم بكل شىء ، ثم قال : قصدك إدارة سجلات المحكمة ، تفضلى معى . وسار خطوتين ، وتبعته ، ثم توقف وقال :

– ولكن هذه فيها خمسون قرشاً . .

– فضربت على صدرها فى فزع وقالت :

– يا مصيبتى يا ابنى ، والله ما معى إلا خمسة وعشرون . .

– لا بأس . من أجل العيال . هاتى الخمسة والعشرين . نخدم لوجه الله .

وسار وسارت خلفه المرأة تحمل وتجر نصف قبيلتها . النصف الآخر يلعب هناك فى الحارة والمصعد معطل . ووسط يوم الحشر هذا وقفت السيدة نادية ضائعة . وأقبل عليها واحد من المتخصصين فى الصيد فى هذا الزحام . .

– نعم يا ست ، أى خدمة ؟

– أريد مقابلة أبو عوف بك .

– يا خبر أبو عوف بك قفزة واحدة !

– لماذا ؟ وماذا يكون أبو عوف هذا ؟

– كل شىء هنا يا ست ، كل شىء . . أتريدين منه شيئاً ؟

– كان صديق زوجى . معى له توصية . .

– أنعم وأكرم . أنعم وأكرم .

– وأين هو ؟

– فى الدور الثامن والمصعد معطل .

ووقفت صامتة تنظر إليه ، خيل إليها أنها تنظر فى صورة مهزوزة . كان إنساناً هزيلاً يلبس بنطلوناً وقميصاً وحذاء من القماش لا لون له . يبدو أن لونه كان فى الماضى السحيق أبيض ، بين شفتيه الغليظتين سيجارة ، وفى صدر جيب قميصه علبة سجائر وقلم حبر جاف ، وكانت هى سيدة فى الأربعينيات الأولى ، كل ما فيها يتحدث عن سعة وحياة راضية . كانت مليئة بيضاء البشرة حسنة التقاطيع بالقياس المصرى الغالب ، كانت جميلة وبنت عز ، كانت ترتدى ملابس أرملة شابة ؟ « حديثة » فقد توفى عنها زوجها من عام وثلاثة أشهر ، هذه المدة القصيرة علمتها أن تعتمد على نفسها فى شئونها ، كل من يقدم إليها معاونة يريد شيئاً من المال أو شيئاً من الجمال !

قالت : وما العمل الآن ؟ السائق مضى بالسيارة إلى السوق ولن يعود قبل ساعتين .

– وماذا تريدين يا ست ، قد يكون المطلوب شيئاً بسيطاً نستطيع أن نقضيه دون أن نصعد ثمانية أدوار ، كانت امرأة حازمة . بعد دقيقة قالت : سأصعد السلم

– ثمانية أدوار يا ست ؟

– أحسن من الوقوف فى هذا الزحام إلى الغروب ، وسارت تشق طريقها بين الجموع إلى السلم ، وتردَّدَ بعض الشىء ثم تبعها وهو يردد : عملية كهذه خير من ألف .

وشيئاً فشيئاً ، وبعد وقفات طويلة فى كل دور وصلت الدور الثامن .

وقال الرجل والسيجارة بين شفتيه : أحسنت يا ست .

ونظرت إليه بشيء من الاستياء ، وقالت : ترفع السيجارة من فمك عندما تتكلم .

ورفع السيجارة من فمه وقال : مكتب أبو عوف بك من هنا يا ست هانم .

وتقدمت لتنقر على الباب ، فأسرع وقال :

الدخول لأبو عوف بك من غرفة مكتبه حيث السكرتارية والسكرتير . . من هنا يا ست . من هنا . ونظرت إلى يسارها فرأت باب المصعد . والمصعد فيه وعلى بابه رجل . حسب أنها تريد أن تدخل فنهض وقال : لا يا ست هذا المصعد محجوز لأبو عوف بك .

– إنه ليس معطلاً . .

– هذا مصعد أبو عوف بك يا ست . . حضرتك . . .

وقبل أن يتم كلامه كان الشاب قد فتح لها باب غرفة السكرتارية وقال : تفضلى يا ست .

وتطلعت أعين من فى المكتب إلى الست . . كانت ثمانى أعين ، أربع منها مغطاة بنظارات سوداء . الغرفة فسيحة ونصف نظيفة ، فيها أربعة مكاتب ، ثلاثة يجلس إليها رجال ، والرابع تجلس إليه سيدة عجوز سمينة شديدة السمرة وحبلى . على عينيها إحدى النظارتين السوداوَيْن ، على رأسها باروكة . فروة خروف أسود يبدو أنها اصطادته وسلخته وأكلته ووضعت فروته فوق رأسها ، كانت تمضغ لبانة . وتكتب على الآلة الكاتبة بإصبع واحدة .

من خلف المكتب الرئيسى نهض شاب طويل نحيل يلبس بنطلوناً وقميصاً نظيفين . كان وجهه طويلاً معروقاً ، تضفى عليه النظارة السوداء شيئاً من البشاعة . أهم ما يميزه كتلة شعر رأسه الأسود الحالك المهوش . هذا شعرٌ لا تنفع فيه فرشاة

ولا مشط . لا تنفع فيه إلا مكنسة كهربية .

وقال الشاب الذى صعد معها واسمه « إمام » هذا شعراوى بك مدير المكتب .

وبدا بوضوح أن (شعراوى) بهر بالجمال ومظهر الشعر : فهب واقفاً وخرج من مكانه ، وأقبل على السيدة وقال :

أهلاً وسهلاً بالست . سيادتك . .

– حرم المرحوم المهندس عبد المجيد الخطيب

– تشرفنا يا ست ، تشرفنا . . تفضلى

وأشار إلى كرسى عليه تراب كثير . ترددت بعض الشىء ، ثم أخرجت منديلاً نفضت به التراب وجلست ، وقال إمام :

حضرتها معها خطاب توصية لأبو عوف بك .

قالت : ليس معى خطاب توصية ، قلت عندى توصية . .

فسارع شعراوى يقول :

لا يهم يا سيدتى . . مستعدون لكل خدمة . أوامرك

– كما قلت لك . أريد مقابلة أبو عوف بك .

– أبو عوف بك لم يأت بعد ، ولكن ما الخدمة المطلوبة . ربما استطعنا قضاءها لك دون انتظار قدومه .

– أريد شهادة حياة .

فنظر إليها شعراوى وبقية هيئة المكتب نظرة تساؤل وحيرة ، وقال شعراوى : ولكن يا ست ليس هناك شىء اسمه شهادة حياة ، هل أستطيع أن أفهم ماذا تريدين بشىء من التفصيل ؟

– قصدى أننى لكى أقبض معاش المرحوم زوجى لابد من شهادة حياة أول كل

سنة ، ونحن الآن فى يناير ، فضحكوا وهزوا رءوسهم وقال شعراوى :

آه ! فهمت : شهادة بقاء على قيد الحياة . . ربنا يعطيك طول العمر يا ست . . هذه مسألة بسيطة جداً لا تحتاج إلى أبو عوف بك كله . . مسألة روتين تنتهى فى نصف ساعة . استريحى يا ست . استريحى نستطيع أن نقدم لك شاياً أو قهوة يا ست ؟

ثم نظر إلى « إمام » وقال له بازدراء :

وأنت ، تفضل من هنا الآن ، سنقوم بالواجب ، ونظرت إلى « إمام » وقالت فى رياسة :

انتظر على الباب ، فقد أحتاج إليك ، وسرّه هذا التقدير فابتسم لنفسه . ومضى كما أمرته .

وقال شعراوى مخاطباً أحد مساعديه فى المكتب :

– أخ مجدى ، وحياة أبيك تعمل لها الشهادة . ونوقع عليها نحن الاثنين .

فقال مجدى ، وكان رجلاً فى الأربعينيات المتأخرة مكتنز الوجه يتكلم بصوت مبحوح من فرط التدخين ، يخرج من تحت شارب غليظ يحيط بفمه من ثلاث جهات كأنه هلال مقلوب :

– لا مؤاخذة يا أستاذ شعراوى . . إذا كان أبو عوف بك سيُصدق على الشهادة فنحن أعضاء مكتبه لا نستطيع عملها . . هذه تعليمات أبو عوف بك نفسه .

اتصل أنت بالتليفون مع أحد المكاتب هنا وتذهب الست إلى هناك لعملها ، ثم تعود إلينا لنقدمها لأبو عوف بك للتصديق . .

– عندك حق . . هذه هى الطريقة .

وبكل كبرياء وبشعور خفى فى إثبات وجوده أمام هذه السيدة التى لم تتأثر قط بشاربه الهلالى قال : هذه أصول الشغل كما تعلمناها . . .

وفكر شعراوى ثم رفع سماعة التليفون وأدار رقماً ثم قال بعد قليل :

بركات بك . . صباح الخير ، شعراوى معك مكتب أبو عوف بك ، أهلاً بك يا افندم . . والله عندنا هنا السيدة حرم المرحوم وتوقف ونظر إليها فقالت :

المهندس عبدالمجيد الخطيب وكيل إدارة المشروعات بوزارة الأشغال سابقاً . .

واستطرد شعراوى يقول بالتليفون :

– حرم المرحوم الباشمهندس عبد المجيد الخطيب . . إنها تريد شهادة بقاء على قيد الحياة . . أنت عارف . . ستأتى إليك ، هذه تعليمات أبو عوف بك . . تعمل لها الشهادة وحياة أولادك وتعود إلينا للتصديق . . متشكر جداً يا بركات بك . . الست تأتيكم الآن . .

ووضع السماعة ، ثم نظر إلى مساعده الثانى وكان شاباً . وقال له :

– عبد اللطيف ، تروح مع الست إلى مكتب التوثيق عند بركات بك فى الدور الرابع كما تعلم ، قل لهم : « يعملوا لها الشهادة ويوقعوا عليها ويختموها ثم تأتى بها إلينا » .

وبدا على الشاب كأنه فرح بهذه المهمة ، فترك الجريدة ونهض ، وقامت نادية وحياها أعضاء المكتب ورافقها شعراوى إلى الباب .

خارج الباب وجدت « إماماً » أخرج السيجارة من فمه وابتسم ، أصبحت حاشيتها مكونة من اثنين ، سار عبد اللطيف أمامها يدلها على الطريق .

وبعد أن خرجت نظرت السيدة العجوز ذات الفروة من خلف نظارتها السوداء إلى شعراوى وقالت : الآن أنت تصرفت تصرفاً خاطئاً يا سيد شعراوى .

– لماذا لا سمح الله . .

وكان لابد له من أن يتأدب معها فهى أخت زوجة شقيق أبو عوف بك .

– لأنك تعرف أن خالى « أبو عوف » . . وهكذا كانت تسميه . . يهمه دائما أن يتكلم بنفسه مع الشخصيات المحترمة مثل هذه السيدة . وأنت تعرف أنه موجود . .

– أعرف أنه موجود . . ولكنه مشغول إلى الساعة العاشرة . أليست هذه تعليماته ؟

– لا ، ليست هذه كل تعليماته . .

– المقصود . . هذا ما حصل . . . !

فى الدور الرابع من المبنى الضخم وقفت السيدة نادية ووراءها حاشيتها المكونة من « الولد » إمام و « الأستاذ » عبد اللطيف عضو مكتب أبو عوف بك .

على باب الغرفة لافتة تقول : غرفة التوثيق . . فتح عبد اللطيف الباب ، ودخل ودعا السيدة البيضاء السّمينة التى تلبس الحداد « الحديث » إلى الدخول . لأول ما دخلت تطلعت عيون ثمانية موظفين قابعين على مكاتبهم كأنهم كهنة فى اجتماع المجلس الكهنوتى الأكبر . تعمد عبد اللطيف إقفال الباب فى وجه إمام حتى لا يدخل ، ولكنه كأى فأر تسلل من الباب ودخل .

واتجه عبد اللطيف إلى بركات بك رئيس مجلس الكرادلة وحياه تحية معطرة بعطر مكتب أبو عوف ، ورد بركات التحية بأحسن منها ، لا لهذا الهلفوت بل لأبو عوف بك .

والناس يا أخى فى هذه الدنيا مقامات ، ثم قال عبد اللطيف :

السيدة نادية حرم المرحوم المهندس عبد المجيد الخطيب تريد أن تعمل شهادة

بقاء على قيد الحياة ، وقد رأى أبو عوف بك أن خير من يعمل هذه الشهادة هو سيادتك .

ونظر بركات إلى السيدة واستوقف نظره شعرها الكستنائى الفاتح اللامع يطل على جبينها من طرحة الحداد ، كاد يسهو عن نفسه ، ولكنه تدارك وقال :

لا مؤاخذة يا ست . . تفضلى . . تفضلى اقعدى .

وجلست السيدة ووضعت ساقاً على ساق بكل حشمة ، وبرغم ذلك فقد اتجهت عيون بقية الكرادلة إلى هذا القطب المغناطيسى الذى ملأ الحجرة عطراً ، ثم نظر بركات إلى عبد اللطيف وقال :

– ألست تريد شهادة بقاء على قيد الحياة . . ؟ حسناً ، بكل سرور . نريد لهذا أولا شهادة ميلاد الست ، وثانياً شهادة وفاة الزوج .

فقال عبد اللطيف .

– وما لزوم شهادة ميلادها . . هل هى تطلب وظيفة . . ؟

فتحمس بركات ووقف وقال : اسمع يا أخى . . أنت تعرف أن كل إجراء حكومى يتعلق بالأفراد يبدأ بشهادة الميلاد .

– معذرة يا بركات بك ، ولكن هذه مسألة تختلف تماما وما تفكر فيه ، هذه سيدة نعرفها جيداً ، ونريد لها شهادة بقاء على قيد الحياة .

– يا محترم . . إذا لم أطّلع على شهادة الميلاد فكيف أعرف أنها موجودة . . ؟

فاحتد عبد اللطيف وقال :

كيف تعرف . . ؟ يا أخى هذه هى أمامك بلحمها وشحمها .

وانزعجت الست نادية لكلمة شحمها فهى رغم كل شىء تخلو من الشحم تماماً .

واحتد أيضاً بركات وقال : بلحمها وشحمها أو بعظمها ودمها . . لا أهمية لذلك عندنا . . إن القواعد الحكومية تقول : إن الإنسان لا يكون موجودا إلا إذا وجد على الورق أولا ، وكون الست موجودة أمامنا لا يعنى أنها موجودة رسمياً .

وتدخل إمام وقال : معها البطاقة الشخصية . . .

– البطاقة الشخصية لا تكفى .

– يا أخانا هذه وثيقة رسمية تقول : إن الإنسان موجود . .

– نعم . موجود فى تاريخ استخراجها أما بعد ذلك فهى لا تثبت الوجود !

– ياأستاذ بركات هذه البطاقة الشخصية خلقت لإثبات الوجود . وفى كل مكان . . فى المصالح الحكومية ، فى المصارف ، فى المحاكم هى الفيصل الذى لا ينازع أحد فيه . .

فقال بركات : اسمع يا حضرة . . لنفترض أن رجلاً مات اليوم فهل بطاقته الشخصية تثبت أنه موجود .

– يا سيدى نحن لا نقول البطاقة الشخصية تؤكد وجود حاملها ، والست موجودة وها هى ذى وبطاقتها الشخصية تؤكد لك أنها هى هى . .

– يا أخى لا تقل لى : إنها موجودة . . قلت لك إن الشىء الأول الذى أطلبه هو شهادة الميلاد . هل هذه مسألة غير مفهومة ؟ سيادتها تستطيع أن تذهب إلى إدارة الأحوال الشخصية فى الناحية التى ولدت فيها وتستخرج مستخرجاً من شهادة الميلاد فى ربع ساعة ثم تعود . .

فقالت السيدة :

– ياحضرة . . أنا مولودة فى السيالة مركز الدر محافظة أسوان . . فهل أذهب إلى هناك وأستخرج الشهادة وأعود فى ربع ساعة ؟

– ياسيدتى مع فائق الاحترام ليس ذنبى أنك ولدت فى السيالة مركز الدر محافظة أسوان ! كان يمكنك أن تولدى فى مكان أقرب . . وأن اللوائح هى اللوائح ، وأنا لا أستطيع أن أحرر شهادة بقاء على قيد الحياة لإنسانة غير موجودة .

ووجد عبد اللطيف أنه أمام صخرة لن يزحزحها الشيطان نفسه ، فقال للسيدة :

لا عليك ياست . . تفضلى . . سنبلغ أبو عوف ليتخذ ما يرى من الإجراءات .

ونهضت وأخذت طريقها إلى الباب وراء حاشيتها وعندما كانت عند الباب قال بركات ، لا تنسوا شهادة وفاة الزوج . .

فعادت إليه الست محتدة وقالت :

ومالك ياحضرة بشهادة وفاة الزوج ! . هل نطلب منك شهادة بوفاة زوجى أو بحياتى أنا . . فرق قلب بركات ، وخرج من وراء مكتبه وأقبل عليها كالمعتذر وهو يقول :

لا تؤاخذينا ياست ، كلنا نعرف المرحوم زوجك الباشمهندس عبد المجيد الخطيب – عليه ألف رحمة ونور . . ولكنك تعرفين أن الحكومة شىء والدنيا شىء . الحكومة ورق . كل أعمال الحكومة ورق ، وبدون ورق لا حكومة ولا وجود ، الوزير نفسه وزير بورقة عليها إمضاء وختم . بدون هذه الورقة وبدون هذا الإمضاء ، وذلك الختم لا يكون الوزير وزيراً . . لنفترض يا سيدتى أن رياسة الدولة قالت لرجل من الناس شفهياً : عيّنتك وزيراً للزراعة مثلا دون أن يصدر مرسوم بذلك فهل يصبح وزيراً . . ؟ هؤلاء ياسيدتى أطفال لا يعرفون فى أمور الحكومة شيئاً . وعندما أطالب بشهادة الميلاد أنا أعرف بماذا أطالب . ثلاثون

سنة على مكاتب الحكومة علمتنا ذلك . .

وعندما أطالب بشهادة وفاة المرحوم فأنا أعرف لماذا أطالب بها . . حلمك معى : كيف أطالب لك بمعاش والمرحوم زوجك لم يمت .

وضحك الكرادلة . أما السيدة فلم تلحظ التناقض فيما قال بل احتدت وقالت :

وفى هذا أيضاً شك . . ياحضرة إن معى – سركى – المعاش وها هو ذا (وأخرجته من حقيبة يدها) وكنت أتسلم به المعاش طوال الأشهر الماضية . ولكنهم قالوا لى إنه لا بد من إثبات الوجود فى أول كل عام لكى يستمر المعاش . .

ففتح الرجل عينيه وابتسم ابتسامة المنتصر وقال :

– إذن اتفقنا . . قد أتساهل فى شهادة وفاة الزوج ، لأن السركى قد يكفى – أقول « قد » لا ننسى ذلك . ولكن إثبات الوجود لا يكون إلا بشهادة الميلاد . .

وفتحت الباب وخرجت ومن ورائها حاشيتها . وخارج الباب . أشعل إمام سيجارة وقال :

حلمك ياست . . أصل الأخ عبد اللطيف يعمل فى مكتب أبو عوف بك . وهو مكتب محترم يعرف الأصول .

ولكنه لا يعرف أن العمل هنا لا يجرى على الأصول . . فبهت عبد اللطيف . وقالت الست نادية :

لا أفهم . .

– قصدى أن هذا الدور كله – والكلام بيننا فئة عشرين قرشاً . . حلمك ياست . لا مؤاخذة يا أخ عبد اللطيف الدنيا مقامات ، وهذا المبنى مقامات وفئات . وكل هذا الدور ، أى كل موظفى هذا الدور فئة عشرين قرشاً . يعنى

إمضاء أى موظف هنا بعشرين قرشاً . فى الدور الأعلى – وسنصعد إليه بعد ذلك – الإمضاء بخمسة وعشرين قرشاً . الدور كله وبلغتنا نحن أولاد الكار والصنعة – فئة ربع جنيه . . تسمحى تعطينى الطلب . . ؟

– سنعود إلى بركات . . . ؟

– لا . . لا لزوم لبركات . . سأدخل هذه الغرفة . وأشار إلى غرفة عليها لافتة تقول :

« إدارة التسجيل » فلى فيها واحد « معرفة » ياست ثمانية موظفين الواحد بعشرين ، المجموع ١٦٠ قرشاً ومحسوبك وعبد اللطيف فالمجموع جنيهان .

وامتعض عبد اللطيف لحشر اسمه مع إمام فقال :

أنا لا . . .

فأسرع إمام وقال :

آه صحيح . أنت من الدور الثامن . . فئة أخرى . . لا بأس ياست . . هاتى جنيهين وسآتيك بالورقة ممهورة من ثمانية موظفين .

وقال عبد اللطيف محتجًا :

اسمع يا أخى . .

وقاطعته السيدة قائلة :

لا بأس ياسيد عبداللطيف ، نريد أن ننتهى . . ها هما هذان الجنيهان والورقة . .

وأخذ إمام النقود والورقة وغاب عشر دقائق فحسب وعاد بها ممهورة بثمانية إمضاءات وختم بنفسجى جميل .

وتناولتها السيدة ، ونظرت بإعجاب إلى هذا اللا إنسان الذى أصبح فجأة فى

نظرها إنساناً ، وقالت له :

الآن نصعد إلى مكتب أبو عوف بك .

وقال عبد اللطيف :

– ألم يكن فى إمضاءين كفاية ؟

مالزوم ثمانية ؟

فقال إمام فى صوت وقح :

يا حضرة ، إذا كان البكوات ثمانية فكيف أختار اثنين وأعمل إشكالاً ؟

ثم إن الست سمحت فما دخلك أنت ؟

قال ، وقد شعر أن كرامته عادت إليه :

لا مؤاخذة ياست ، بعد التوثيق ، لا بد من التصديق ، فى الدور الخامس . .

تفضلوا معى وأخرج سيجارة وأشعلها ، وسار فى هيئة المنتصر تتبعه الست ومن خلفها عبد اللطيف الذى انحدر إلى مرتبة « لا إنسان » .

فى الدور الخامس وهو دور يمتاز بقلة السكان لأن موظفيه أعلى درجة .

وفى السلم الوظيفى فى هذا المبنى كلما علت الأدوار ارتفعت مراتب الموظفين وقل اختلاطهم بالجمهور ، ومن ثم قلت فائدتهم له ، ومن هنا أيضا زادت رواتبهم . الرواتب هنا لا على قدر العمل والفائدة بل على قدر قلة العمل وقلة الفائدة . هنا تأتى المسائل مصفاة وموثقة لكى يصدق عليها .

وتلفت إمام يمنة ويسرة ثم سأل نفسه : فين ياولد يا إمام حمدى بك ؟ آهُ فى الغرفة أربعمائة وشىء . . تعالوا ، ومضى يقرأ اللافتات ، ثم وقف أمام غرفة تحمل لافتة : مكتب تصديق التوثيق . . وأراد أن يدخل فنهض له فراش كان مشغولا فلم يفطن إليه وقال الفراش :

لا أحد هنا ياحضرة . .

– وأين إذن حمدى بك والسادة أعضاء المكتب .

– البكوات يفطرون الآن . ممنوع الدخول حتى يفرغ الإفطار . . ألا ترى النور الأحمر ياحضرة . .

– لا أرى نوراً أحمر . .

ونظر الفراش وقال :

– آه ! نسيت أن أشعل النور .

ودخل ، وأضاءت لمبة كهربية حمراء صغيرة فوق الباب ، وقال الفراش :

– صدّقت الآن أن البكوات مشغولون . .

– ولكن يا سيدى الفراش . .

فصاح الفراش : يا أخى حرام عليكم . حتى الأكل تحرمونه عليهم ، أليسوا بشرا من لحم وعظم مثلك ومثلى ، كيف نريدهم أن يعملوا دون طعام . .

– ومتى يفرغون بإذن الله من طعام العافية . .

– عندما يطلبون الشاى والقهوة . .

– يعنى بعد نصف ساعة . .

– من باب الاحتياط اعمل حسابك على ساعة ، ساعة ونصف الساعة

وجلس مكانه ، وفى ضوء المصباح الأحمر المغطى بالتراب عاود النوم . .

ونظر إمام إلى السيدة وعضو الحشم الآخر ثم قال :

لا عليكم . . نذهب إلى زهدى بك . . إنه فى الحجرة التى بعد هذه بحجرتين

وأشار بيده إلى غرفة وقال :

هنا . . وسار بهم ووقفوا على باب غرفة تحمل لافتة تقول : مكتب توثيق التوثيق . .

هنا – لحسن حظه – لم يكن هناك فراش ولا حاجب ، فدخل متلصصاً ، فوجد غرفة واسعة يسودها الصمت ، على المكاتب – وعددها سبعة – جلس سبعة موظفين يقرءون الصحف وفجأة ظهر الفراش الذى لا مفر منه . كان فراشاً ألطف من الأول وأحسن هيئة . قال :

يا حضرة . . ماذا تريد ؟

– زهدى بك . . .

قال الفراش : تعال خارجاً لحظة . زهدى بك هنا وها هو ذا على المكتب الكبير ، ولكنه الآن يقرأ الجريدة ، زهدى بك والسادة أعضاء المكتب يقرءون الجرائد الآن ، وهم يقسمون العمل بحساب بينهم ، انظر . . ومن شق الباب نظر الثلاثة : إمام والست وعبد اللطيف . . وقال الفراش :

– انظر ، ها هم أولاء يقرءون الصحف بنظام وترتيب كل واحد له اختصاص : انظر . . أهرام ، أخبار ، جمهورية ، أهرام ، أخبار ، جمهورية .

– وهذا السابع . . ؟

– تقصد عبد الهادى أفندى

– هذا اسمه . .

– هذا جديد وثانوية عامة فقط ، اختصاصه جريدة المساء ، لأنها تصدر بعد الظهر ثم هى نحيفة الحجم .

ألا يمكن قراءة الصحف فى غير المكاتب ، خارج وقت العمل مثلاً .

– سبحان الله يا أخى ، أين المفهومية . إن الصحف تظهر فى الصباح لكى تقرأ

فى الصباح أى فى المكاتب . ولوكانوا يريدون أن يقرأها الناس بعد الظهر لخرجت بعد الظهر .

ثم ما فائدة قراءة جرائد الصباح بعد الظهر . خذ مثلا الوفيات . كيف تقرأ أخبارها بعد الظهر فتضيع على الناس فرصة العزاء وتشييع الجنازة . الآن فقط قام مدير المكتب زهدى بك بتبليغ السيد وكيل الوزارة خبر وفاة خال ابنة عمة السيدة حرمه . بالأمس أبلغنا الأستاذ رحمى المستشار القانونى بمكتب السيد الوزير تاريخ الذكرى الخامسة لوفاة ابن خالة الست حرمه . وتلقينا شكراً رسميًّا على ذلك . . هنا مكتب عمل منتظم وحيوى لكل السادة الأفراد العاملين من أكبر كبير إلى أصغر صغير . .

– ومسألة دراسة الصحف هذه تأخذ وقتاً طويلا . .

– يعنى كلك نظر . .

– آه . . فهمت . .

واختفى الثلاثة للمداولة وقال إمام : كما قلت لكم ، هذا الدور فئة ربع جنيه وسمعها الفراش الذكى فقال :

لامؤاخذة . . نسيت عَلاء المعيشة : أنتم تعرفون أن الأسعار فى زيادة . والناس لابد أن يعيشوا والمرتبات كما تعلمون . . خذ مثلا ، زهدى بك هذا كبيرهم ، تصدق بالله ؟ مرتبه أربعة وخمسون جنيهاً واثنان وأربعون قرشاً وتسعة مليمات .

إيجار بيته وحده ثمانية عشر جنيهاً ، ومصروفات المدارس . .

فقاطعه عبد اللطيف : ولكن المدارس مجانية .

فقال الفراش :

– سبحان الله ياحضرة . . والدروس الخصوصية . . أتعرف ماذا يأخذ مدرس

الرياضة فى الساعة ؟ جنيهين وحياتك . ولا يعطى أقل من درسين فى المرة . . اضرب جنيهين فى ثلاث مرات فى الأسبوع فى ثلاثة أولاد : احسبها سيادتك . . والإنجليزى شرحه . . والاجتماعيات واللغة العربية . . هذا كله وسيادته لم يأكل ولم يشرب ، لا هو ولا العائلة المحترمة . . أصل محسوبك يقوم بمهمة وزير المالية للسادة هنا . . أنا أعرف كل شىء . . ليست هناك أسرار هذه أرقام والأرقام لا تكذب . . تسمح ياحضرة تقسم أربعة وخمسين جنيها واثنين وأربعين قرشاً ولا لزوم لقسمة المليمات التسع . . على هذه النفقات . .

– والخلاصة . .

– الفئة زادت الزيادة القانونية بحسب زيادة الأسعار . . بحسب ارتفاع الأسعار . . بالله العظيم ثلاثاً إن زكى بك وهو الرابع من اليمين إلى الشمال هو المختص بدراسة لا تحة الأسعار الرسمية كل يوم كما تنشر فى الصحف وتعلن فى الإذاعة . .

– وهل عندكم هنا ركن استماع أيضاً ؟

– هذا فى البيوت يا حضرات . الستات اختصاصهن الاستماع . البكوات القراءة . . نحن ناس نعمل يا رجل ، نعمل بذمة وعلى أصول . . قلت لك إن رحمى بك يرى أن الظروف تستدعى رفع الفئة . .

– فوق الخمسين قرشاً . . ؟

– طبعا وربما أصدر قراراً بذلك يسرى مفعوله من الغد . . تصدقون بالله ؟ أنتم محظوظون إذا أتيتم اليوم قبل أن ترفع الفئة إلى ستين أو سبعين قرشاً . .

وقال عبد اللطيف مُحتجًا :

هذا كلام فارغ . . لنذهب الآن إلى المكتب ونبلغ أبو عوف بك . .

فقال الفراش :

– أبو عوف بك فى الدور الثامن . . ؟

– نعم وأنا من مكتبه . .

– ولا مؤاخذة يا حضرة يظهر أن شعراوى بك لم يبلغك أن الفئة ارتفعت عندكم من أمس . . لم تصدقنى عندما قلت لك إن هنا مركز الاستعلامات . .

فقالت السيدة :

هذه رشوة ياحضرة . .

فقال الفراش اللبيب :

لا ياست ولا مؤخذة ، هذه ليست رشوة . الرشوة هى أن واحداً يأخذ فى السر ودون علم الباقين . . أما عندما يأخذ الجميع وفى وضح النهار فإن المسألة تصبح نظاماً . وقولى لى من فضلك : واحد يتقاضى خمسين جنيهاً فى الشهر ، ومصروفاته مائة ، من أين يكمل الباقى . . ؟

– من الجمهور ؟

– أظن أن هذا هو المعقول ، المسألة ليست مسألة رشوة ، إنها « تعاون » تعاون منظم .

الحكومة تدفع شيئاً والجمهور يدفع شيئاً وتسير المركب : معقول هذا أم غير معقول ؟

وبعد لحظة صمت ، أدار بصره فى الجماعة وقال :

هاتوا الورقة وأربعة جنيهات من فضلكم .

وقالت السيدة :

– لماذا أربعة جنيهات ، أليس العدد سبعة . .

– ومحسوبك ؟ لا يدخل فى « التعاون » ؟

– آه . . صحيح

وقال إمام :

– إذن اجعليها ثمانية ونصف الجنيه .

وقال الفراش :

– والبك ؟

وأشار إلى عبد اللطيف . .

– لا . . البيه من الدور الثامن . . فئة أخرى . .

– لامؤاخذة يا سعادة البيه . لم آخذ بالى . .

فقال عبد اللطيف فى تواضع :

– لا داعى للمؤاخذة . . مادامت المسألة « تعاون » فلأكن معكم . . لتكن خمسة جنيهات

وتنهدت السيدة الصعداء وقالت :

– أمرى لله . . لنخلص من هذه المشكلة . .

وأخذ الفراش الجنيهات الخمسة ودخل فغاب خمس دقائق ، ثم خرج بالورقة مذيلة بسبعة إمضاءات أخرى وختم بنفسجى جميل . . وناول كلا من عبد اللطيف وإمام نصيبه من التعاون . .

وقال إمام :

– الآن إلى مكتب أبو عوف بك

على غير العادة لم يكن الهدوء مخيماً على مكتب سكرتارية أبو عوف بك . كان هناك صخب وضجيج وصوت رجل يصيح ، دهش عبد اللطيف للأمر ، وتقدم وفتح الباب ودخل . فى وسط الحجرة كان هناك رجل بلدى فى حوالى الخمسين من

عمره . كان يبدو عليه الفقر والغُلب ، ولكنه كان خارج نفسه ، أعصابه أفلتت منه وتحول إلى مخلوق غاضب . عندما دخلوا كان يقول :

– قولوا لى : أنا حى أم ميت ؟ إن كنت حيًّا فلابد من إلغاء شهادة الوفاة ، وإن كنت ميتاً فليس معى ما أدفن به وعليكم أن تدبروا الأمر .

وقال شعراوى مهدئاً :
مالك أيها الرجل ؟ هل جننت . خَفِّضْ صوْتك . أبو عوف بك لا يحب هذه الشوشرة ، وإذا ظللت على ذلك فلن ينفعك شىء . وسيأتى البوليس ويلقيك خارجاً . .

– لا يستطيع . . ليس فى الدنيا أحد يستطيع ذلك . .
– لماذا ، هل أنت فوق القانون ؟
– لا يا سيدى ، لأنى ميت .
– كيف تكون ميتاً وهذا صوتك يدوى كالرعد .
– إذن انظر فى شهادة الوفاة التى بين يديك . . من أسبوعين وأنا أحارب هذه الورقة ولا أستطيع التخلص منها . فى كل مكان يقولون لى إننى ميت ، أقول لهم : يا ناس كيف أكون ميتاً وهأنذا أمامكم ؟

فيقولون : اذهب واعمل عملية شطب لشهادة الوفاة هذه . . انقل نفسك من قائمة الأموات إلى قائمة الأحياء . . من الآخرة إلى الدنيا .

ونظر إلى الست . . وإمام . . وعبد اللطيف وقال :

– هل سمعتم بهذا يا خلق ؟ أكون حيًّا ويقولون لى إننى ميت ، ويسخرون منى ويقولون انقل نفسك من الآخرة إلى الدنيا . . هل هذا معقول ؟ هل سمعتم بإنسان

انتقل من الآخرة إلى الدنيا ؟ . أليست هذه حاجة تجنن ؟

وقالت السيدة :

هدئ أعصابك ياعم ، نريد أن نفهم ما الحكاية . .

فقال الرجل بأعلى صوته وبلهجة غاضبة بل مجنونة ، ونظراته تنتقل فى عجلة من شخص لشخص :

– أصل الحكاية ياست . .

وقاطعته السيدة قائلة :

– اجلس ياعم . . اجلس . . هات كرسيًّا يا إمام . . وهات له ماء ، كوب ماء ، وأنى بالكرسى وكوب الماء ، وشرب الرجل وجلس ، وأخذ نفسه ثم قال للجالسين :

– واحد منكم يعطينى سيجارة .

وسارع إمام فأعطاه سيجارة وأشعلها له ، قفز الرجل إلى السيدة وقال :

– الله يعمر بيتك ياست : أول ابن آدم أقابله من عشرة أيام . . شوفى ياست . . الحكاية أننى يوم الثلاثاء قبل الماضى ، يعنى بعد العيد الصغير بستة أيام أردت النهوض من فراشى لأذهب للعمل فشعرت بدوار . نهضت برغم ذلك . ثم غبت عن الوجود . يقولون إننى وقعت على الأرض . عندما فتحت عينى وجدت نفسى مُمدداً على خشبة باب ورجل يغسلنى ، قلت : ماذا جرى ياناس . . هل أنتم تغسلوننى أو ماذا تعملون . . وروع الرجل الذى كان يغسلنى وجرى وهو يصيح : الميت صحا . . ألحقونى . . ألحقونى . . كنت أرتعد من البرد ياسيدتى وصرخت . . أعطونى شيئاً ألبسه . فلم يصغ لى أحد ، ثم دخلت على الملعونة مراتى زكية وصاحت : ماذا جرى ؟ يامصيبتى . الرجل صحا وقام من الموت صرخت وقلت :

– وهل أنا مت ؟ قالوا : نعم مت من ساعتين ، وأبلغنا حكيم الصحة فكتب شهادة الوفاة وصرح بالدفن – تصورى ياست ، لا هو أتى ولا هو رآنى ، وإنما هو ابنى الذى أفسدته هذه الحرباء امراتى علىّ ، إنه أسرع وأبلغ مكتب الصحة وشيخ الحارة . . إنهم جميعاً ضدى . . لأننى وزكية – لعن الله اليوم الذى رأيتها فيه – شركاء فى الفرن . وهى تريد أن تطردنى من زمان وتنفرد به مع الولد . . لم أدر ما أفعل . . شيخ الحارة قال لى اذهب إلى مكتب الصحة وصحح الواقعة وأثبت وجودك . . لم أستطع يومها كنت متعباً جداً ، كان البرد قد أهلكنى ، وكانت بنت الشياطين تريد أن تدفننى بالحياة . .

وسكت قليلا ليستجمع أنفاسه ، ثم عاد يقول :

– بعد يومين ذهبت إلى مكتب الصحة . . قال لى الباشكاتب : خلاص يا عم أمين ، سننظر فى الموضوع لأن البيه الدكتور لا يستطيع إلغاء شهادة وفاة صدرت من يومين وسجلناها فى الدفتر وأخذت رقماً . .

قلت : ولكن الدكتور لم يكشف علىّ . ولا رآنى ميتاً . .

– اسمع يا رجل ، أنت مجنون وليس لدينا وقت لأمثالك . ماذا تريد . أن يذهب البيه الدكتور فى داهية تقول إنه كتب شهادة الوفاة دون أن يراك .

– أى والله ياسعادة البيه . . كلهم قالوا إنه ما أتى ولا رآنى ، اسألوا كل أهل الحارة . .

هنا دخل شيخ الحارة وقال :

– اسمع ياعم أمين . . ماذنب سعادة البيك الدكتور حتى تدخله فى هذه القضية ؟ سعادة البيك قام بواجبه . . أتى إلى البيت وأنا معه ، وكشف عليك كشفاً تاماً وتيقن أن قلبك وقف وكتب الشهادة وناولها ابنك ، لقد رأيت ذلك بعينى والله

العظيم ثلاثاً وما لأحد يمين علىّ .

– أنت ياعبد التواب يا شيخ الحارة ، يا شيخ النصابين رأيت الدكتور يكشف علىّ ؟

– لقد أقسمت بالله العظيم ثلاثاً يارجل ! نعم كشف عليك بالسماعة أمام عينى . . وصمت المسكين قليلا ، ثم عاد يقول :

وتدخل – الله يستره – عم رجب الخضرى ، جارى وصاحبى وعِشْرة سنوات طويلة وقال لشيخ الحارة :

اسمع ياعبد التواب يا حمزاوى . . الطبيب لا أتى ولا رآه ، ماذا تريدون ؟ تقتلون الرجل وهو حى . .

سبحان الله . . قم معى يا أخى أمين ، لابد من إلغاء شهادة الوفاة : وقال باشكاتب الصحة :

اسمع يامجنون انت يارجب ياخضرى ، نحن أمام أحد أمرين ، إما أن يموت هذا الرجل أو يُفصل سعادة البيه الدكتور من وظيفته . .

فقال رجب الخضرى :

نحن لا يهمنا أن يفصل الدكتور من وظيفته ، المهم أن يرفع اسم هذا الرجل من قائمة الوفيات حتى يستطيع هذا الرجل أن يعود إلى فرنه ويواصل حياته .

– وما الذى يمنعه من الذهاب الآن إلى الفرن وممارسة عمله كأن شيئاً لم يحدث ؟

فقلت أنا : كيف وقد أخذت بنت الشياطين امراتى زكية شهادة الوفاة وذهبت بها إلى القسم واستصدرت أمراً بإغلاق الفرن حتى يتم الفصل فى التركة .

قالت الست :

– ولكن شهادة الوفاة معك . .

– ضربتها بعد ذلك وأخذتها منها ، وذهبت لألغيها ، مكتب الصحة رفض تماماً فطردونى من هناك ، وفى قسم البوليس سخروا منى وقالوا لى :

– لا ، هات ما يثبت أنك صحوت بعد الموت . ومن يومها إلى الآن وأنا حائر ضائع بين المكاتب ، لى أسبوع كامل فى هذا المبنى ، طالع نازل ، نازل طالع ، كل مكتب يحيلنى إلى الآخر ، وأخيراً قالوا لى ليس هناك إلا أبو عوف بك ، هو كل شىء هنا . . هو – الله يستره – سيصدر أمراً بإلغاء شهادة الوفاة ، ويأمر العساكر بأن يأتوا معى ويفتحوا الفرن لأزاول عملى . .

فقال شعراوى : أبو عوف بك غير موجود يا رجل .

فقالت الست : لا ، إنه موجود ياسيد شعراوى . . فأسرع إليها شعراوى وأخذها جانباً وهمس فى أذنها :

– لا تدخلى فى هذا الموضوع أرجوك . هذه المسألة تعنى أبو عوف بك شخصيًّا . وفرن هذا الرجل يقع خلف العمارة الجديدة التى يبنيها أبو عوف بك . وقد قمنا بالتفاوض مع أرملته – امرأته أقصد – وابنه بصفتهما الورثة الشرعيين لشراء الأرض لتوسيع العمارة ، وقبضت الست زكية مائتى جنيه على الحساب لكى تزوج ابنها .

ووقفت السيدة ذاهلة والرجل ينظر إليها نظرة كلها ثقة وأمل ، وفى هذه اللحظة دق جرس ، فنهض عبد اللطيف ودخل غرفة أبو عوف بك . ثم خرج وقال : تفضلى ياست . فسارت وفى يدها الورقة ذات الإمضاءات والأختام . . المكتب فسيح وأنيق فاخر الأثاث . مكتب أبو عوف بك طوله ثلاثة أمتار وعرضة مترات ، وخلفه إلى يسار أبو عوف بك شباك واسع .

ونهض أبو عوف بك وأقبل يحيي ضيفته ووجهه كله مشرق ، وصلعته تلمع ، وعيناه تضحكان خلف نظارته السميكة ، كان برغم قبح هيئته رجلا أنيقاً محترم الهيئة ، تزيده قامته المديدة احتراماً . .

– تفضلي ياست . تفضلي . . أهلا وسهلا ، خطوة عزيزة . . الباشمهندس المرحوم عبد المجيد بك كان صديقي . . تفضلي . .

وجلست على الكرسي أمام المكتب فنهض واقفاً وأشار إلى الأريكة الكبيرة وقال :

– هنا أريح . . هنا تستطيع أن تتكلم . .

قالت : لا . . هنا كويس . .

فعاد إلى مكانه وقال :

لا مؤاخذة . . هؤلاء الأولاد أتعبوك . إنهم لا يفهمون شيئاً . ما كان ينبغي أن يرسلوك إلى أي مكتب آخر . .

– المهم . . ها هي ذي الورقة . كل ما ينقصها تصديقك وختمها . .

فتناول الورقة وأخذ يتفرج عليها وضحك وقال :

ما هذا كله . . هذا كلام فارغ . . لقد عملت لك الشهادة بمجرد أن علمت أنك هنا وها هي ذي موقعة ومختومة . . هؤلاء الأولاد متعبون جداً .

وتناولت شهادة الوجود على قيد الحياة وقرأتها ثم وضعتها على المكتب أمامها ثم قالت :

– هكذا يا ابو عوف بك . . يوم كامل وأنا أجري وأصعد وأهبط في هذا المبنى لأحصل على ورقة تعمل في خمس دقائق :

– إنني آسف جداً ياست – قلت لك إنني لم أعلم ، وأرسلت أبحث عنك . .

قالت : أظن أننى أنصرف الآن . .

ووقفت ، فنهض وأسرع يقول :

لا يمكن . . لم تشربى شيئاً . . لابد أن تأخذى شيئاً . . المرحوم عبد المجيد بك كان صديقى . . نحن معارف نحن ، أهل . .

– شكراً . .

فأخرج منديلا ومسح صلعته . ثم نظارته ثم قال : لقد تأسفت لما جرى ، وقلت : سيدة محترمة مثل حرم الباشمهندس عبد المجيد بك الخطيب لا يمكن أن تظل وحدها على هذه الصورة . . أنت ترين ماقاسيت من التعب بسبب ورقة تافهة كهذه . . ماذا تعملين يا ترى فى العمارة التى خلفها لك المرحوم ؟ لابد أنك متعبة وحيرى . . قصدى . . أنك فى حاجة إلى رجل يقف إلى جانبك ، رجل قوى مثل المرحوم يعرف يساير الدنيا . . لهذا كنت أريد أن أتحدث معك . . هنا فى المكتب لا يمكن أن نتحدث كما نريد . . نستطيع أن نحدد موعداً ونتحدث ، عندك فى البيت أو عندى . . انظرى . . هاتان العمارتان البيضاوان وراء تلك الحديقة ، إنهما لى ، وعندى فى الدور التاسع من العمارة شقة جميلة أستعملها مكتباً ومكان استقبال للأصدقاء الأعزاء أولاد الناس . . إذا وافقت ، يمكننا أن نتقابل هناك .

– لماذا ؟

– قلت لك . . أنت فى حاجة إلى من يساعدك فى إدارة أعمالك . . والحقيقة أننى أفكر فى ذلك منذ وفاة المرحوم عبد المجيد بك . .

نهضت واقفة . وذهبت إلى النافذة ونظرت ثم أشارت إلى العمارتين وقالت :

– هاتان ملكك ؟

– وعندى ثالثة فى وسط البلد .

– ورابعة لا أدرى أين ، ومع ذلك تريد أن تستولى على فرن الرجل المسكين عم أمين .

– لقد عملنا عقداً مبدئياً مع الورثة ، وقبضوا المقدم . .

– والرجل حىّ . . !

– هذا ليس شأنى . .

– شأنك أن تستولى على أموال الناس وتبنى عمارات ، بالحلال بالحرام ، لايهم . . اسمع يا أبو عوف بك . . من الساعة الثامنة صباحاً وأنا هنا فى هذا المبنى الكبير . عندما دخلت فى الصباح كنت إنسانة محترمة أتت تطلب شهادة فى غاية التفاهة فانظر ماذا فعلت أنت ورجالك بى . كل دقيقة مرت علىّ كنت أفقد جزءاً من إنسانيتى واحترامى لنفسى . لست وحدى فى ذلك ، فهناك ألوف مثلى تائهون فى هذا المبنى الرهيب ، يبحثون عن حقوقهم التى تبتلعونها أنتم هنا ، عندما دخلت المبنى فى الصباح رأيت منظراً عصر قلبى عصراً : امرأة تجرّ أسرة كاملة وتهيم على وجهها بين الناس باحثة عن حقها فى مكان لا تعرفه ، ثم أخذها شيطان ومضى لا أدرى إلى أين . . وفى مكتبك هذا لعب بى من تسميهم الأولاد كأننى كرة بين أرجلهم ، وهبطت وصعدت لا أدرى كم مرة . . فى كل مكتب ناس محترمون مثلك على مكاتب مثل هذه يأكلون أموال الناس لقاء إمضاءات وأختام أنت نفسك تسخر منها . . أتيت أول النهار أرجو إثبات وجودى ، وفى النهاية وبعد هذه البهدلة كلها لم يعد لى وجود أصلا . . هذه الشهادة التى تفضلت علىّ بها ليست شهادة إثبات وجود . إنها شهادة وفاة بالضبط كهذه التى تعذبون بها عم أمين الفرّان . . ولم يكفك هذا أيها السيد المحترم . . تحدثنى عن عماراتك وشقتك التى هى مكتب وصالون استقبالات وتدعونى للحديث . . فيم نتحدث يا أبو عوف

بك . . ؟ عزَّ عليك أن أخرج ببقية من كرامتى ، فأردت أن تدوسها أيضاً ، لقد قلت لى ساعة دخولى إننى بنت ناس . . فهل فى الدنيا إنسان ليس ابن ناس ؟ نعم هناك . . هناك فى نظركم ناس أولاد ناس ، وناس أولاد كلاب مثل تلك المسكينة التائهة مع أولادها تبحث عن حق لن تجده أبداً ، لأن أبو عوف آخر أكله كما تريد أنت أن تأكل فرن المعلم أمين والرجل حى . .

إننا كلنا أولاد كلاب فى نظركم . . أنتم فقط الناس أولاد الناس . . وفى هذا المبنى ألف أبو عوف كلهم مثلك ومثل البكوات الكثيرين الذين رأيتهم مقسمين إلى فئات ، يأخذون الرشوة ويسمونها تعاون ، ومثل هذا الطبيب الذى حكم بموت رجل دون أن يراه . . ما أتعسنا معكم . . إننى ماضية الآن لأنجو بالبقية الباقية من إنسانيتى وكرامتى . . فى المرة القادمة ، عندما أحتاج إلى شىء سأبعث كلباً ليأخذ لى حقى . مع الكلاب لا ينفع إلا الكلاب . . ثم أخذت الشهادة وقالت : على الأقل معى إثبات بأننى ما زلت على قيد الحياة . . ثم إنى دفعت ثمنها غالياً . .

وخرجت . .

واستقبلها عم أمين الفرّان ، وقال :

– وأنا ماذا أعمل ؟

– لا شىء ياعم أمين . . أنت رجل ميت ولا أمل لك فى الحياة أو فى استرداد الفرن . أمرك لله . . لن تستطيع عمل شىء . . إذا لم يقتلك أبو عوف هذا فسيقتلك أبو عوف آخر . . أنت وأنا وكل المساكين الذين يجرون وراء حقوقهم محاصرون ، محكوم عليهم بالموت . . فى كل ناحية هناك أبو عوف . . إنهم ألوف . . ألوف . .

ولم يفهم الرجل كثيراً ممّا قالت ، ولكنه فتح فمه فى يأس وقال :

لن أخرج من هنا حتى ألغى هذه الشهادة أو أقتله .

– لن تستطيع . . إذا قتلته نهض أبو عوف آخر مكانه . . تعال معى . . أنا فى حاجة إلى بواب . . لابد أن تخرج وتهرب بنفسك من هنا . . سيقتلونك قطعاً ليثبتوا أن الورقة التى فى يدك صحيحة . . متى يارب نثبت نحن الكلاب أننا آدميون . .

ثم سألت : هل وصل السائق ؟ . .

– أنا هنا ياست . .

– خذ هذا المسكين معنا ، سيعمل بواباً أو سائسا فى الجراج . . لاتخف منه . إنه ميت وشهادته بيده . . إنه أحسن حالا منّا . . نحن أموات بلا شهادات وفاة . . ومضت ومن خلفها السائق وخلفه العم أمين الفران وشهادته بيده .